

المصطلح البلاغي في كتاب البديع لابن المعتز^(١)

د. ناصر الجباعي (*)

كان حديث العلماء القدماء عن مسائل البلاغة العربية أو القضايا البلاغية يرد في معرض ما يقع لهم من تفسير أو شرح آيات من القرآن الكريم أو أشعار أو أقوال. وكانت للبلاغة العربية وما يتصل بها من البيان، والفصاحة، والخطابة، والبديع تسميات متقاربة المدلول في أذهان القدماء ومجالسهم ومباحثهم ومصنفاتهم.

(١) قال ابن خلكان: هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد... أخذ الأدب عن أبي العباس المبرد وأبي العباس ثعلب وغيرهما، كان أديباً بليغاً شاعراً مطبوعاً مقتدرًا على الشعر..... مخالطاً للعلماء والأدباء معدوداً من جملتهم.... وله من التصانيف كتاب الزهر والرياح، وكتاب البديع، وكتاب مكاتبات الإخوان بالشعر، وكتاب الجوارح والصيد، وكتاب السرقات، وكتاب أشعار الملوك، وكتاب الآداب، وكتاب حلى الأخبار، وكتاب طبقات الشعراء، وكتاب الجامع في الغناء، وكتاب فيه أرجوزة في ذم الصبوح.

ينظر في ترجمته: وفيات الأعيان: ٣/٧٦. أشعار أولاد الخلفاء: ٣/١١٤. معاهد

التنصيب: ٢/٢٠٧.

(*) دكتور في النقد الأدبي القديم.

ولعلَّ أوَّل العلماء الذين وصلت مصنفاًتهم إلى الأجيال اللاحقة هم: أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١١هـ) الذي وضع كتاب المجاز، وتوحي تسميته بأنَّه كتاب بلاغة، وكان أبو عبيدة^(٢) وضعه بعد استقدامه إلى بغداد في خلافة هارون الرشيد ليبيِّن بعضَ الأساليب البلاغية التي وردت في القرآن الكريم.

ثم وضع الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) كتابيه البيان والتبيين، وكتاب الحيوان. ووضع ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) كتاب تأويل مشكل القرآن. وصنَّف المبرد (ت ٢٨٥هـ) كتاب الكامل في اللغة والأدب. ووضع الخليفة العباسي عبد الله بن المعتز كتابه هذا وأرخ له بقوله: وألفته سنة أربع وسبعين ومئتين للهجرة^(٣) وأشار فيه إلى أمرين: أولهما: سَبَّقه في هذا التصنيف.

ثانيهما: أنَّ العلماء باللغة والشعر القديم لا يدرون مدلول هذا المصطلح (البديع)، وأنَّ الذين يدركونه هم نقاد المتأدبين. ومع تقدم الزمن وُضعت مصنفات تتناول البلاغة العربية. وصولاً إلى السكاكي (ت ٦٢٦هـ) في مصنَّفه مفتاح العلوم الذي بيِّن فيه أقسام البلاغة الثلاثة المعروفة (البيان، المعاني، البديع) بعد أن كانت متداخلة في أذهان البلاغيين والنقاد في القرون التي سبقتة.

(٢) ينظر: معجم الأدياء: ١٥٨/١١.

(٣) ينظر ابن المعتز البديع: ٥٨.

إسهام ابن المعتز في المصطلح البلاغي

الباب الأول من البديع وهو الاستعارة^(٤):

جعل ابن المعتز الباب الأول من أبواب البديع باب الاستعارة، التي عرّفها بقوله^(٥): «وإنما هو استعارة الكلمة لشيء لم يُعرَف بها من شيء قد عُرفَ بها» وقد أطل الحديث عنها وأكثر من شواهدا مما يدل على درايته بمكانتها في بلاغة كلام العرب، ومن الأمثلة التي أوردها:

قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾

[آل عمران: ٧].

وقوله: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤].

وقوله: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤].

وأتبع ذلك بجملة من الشواهد وأحاديث النبي ﷺ وكلام الصحابة وغيرهم من الكلام المشور،

وذكر من المنظوم قول امرئ القيس^(٦):

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مُرَخٍ سُدُولُهُ عَلِيٍّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي
فَقَلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِضَلْبِهِ وَأَزْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكُلِّكَلٍ

(٤) ينظر البديع: ٣ وما بعدها.

(٥) البديع: ٢.

(٦) ديوانه: ١٨.

وقال: هذا كله من الاستعارة لأنَّ الليلَ لا صُلبَ له ولا عَجُز.

وقول زهير^(٧): [من الطويل]

إِذَا لَقِحتْ حَرْبٌ عَوَانٌ مُضِرَّةٌ ضَرُوسٌ تُهَرُّ النَّاسَ أَنْيَابُهَا عَصَلٌ

وقول النابغة^(٨): [من الطويل]

وَصَدْرٍ أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبَ هَمِّهِ تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

أراد قوله أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبَ هَمِّهِ هذا مستعار من إراحة الراعي الإبل إلى مباءتها؛ أي موضع تأوي إليه.

وقول أوس بن حجر^(٩): [من الطويل]

وَأِنِّي أَمْرٌ أَعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ بَعْدَمَا رَأَيْتُ لَهَا نَابًا مِنَ الشَّرِّ أَعْصَلَا

وقول الحطيئة^(١٠): [من الطويل]

أَلَا مَنْ لِقَلْبِ عَارِمِ النَّظَرَاتِ يُقَطِّعُ طُولَ اللَّيْلِ بِالزَّرَقَاتِ

وقول لبيد^(١١): [من الكامل]

فَيْتَلِّكَ إِذْ رَقَصَ اللُّوَامِعُ بِالضُّحَى وَاجْتَابَ أَرْدِيَةَ السَّرَابِ إِكَامُهَا

وأتبع ذلك بشواهد من كلام المحدثين وأشعارهم منها^(١٢) قول

مسلم^(١٣): [من الطويل]

(٧) شرح ديوانه: ١٠٣. لَقِحتْ: اشتدت. عَوَانٌ: ليست بأولى، قد قُوتل فيها مرةً بعد مرة.

ضَرُوسٌ: عَضُوضٌ سَيِّئَةُ الْخَلْقِ. تُهَرُّ النَّاسَ: أي تصيرهم يهرونها أي يكرهونها.

(٨) ديوان النابغة الذبياني: ٤١.

(٩) ديوان أوس بن حجر: ٨٣.

(١٠) ديوان الحطيئة: ١١٢.

(١١) شرح ديوان لبيد: ٣١٢. أي بمثل: تلك الناقة. اجتاب: لبس. أي لبست المرتفعات

ثياباً من السراب.

(١٢) ينظر: البديع: ١٢ وما بعدها.

(١٣) شرح ديوان مسلم: ٢٧٣. ورواية صدر البيت الثاني: فَعَطَّتْ بِأَيْدِيهَا ثَمَارَ نُحُورِهَا، وهي أوفق للمعنى.

فَأَقْسَمْتُ أَنْسَى الدَّاعِيَاتِ إِلَى الصَّبَا وقد فَاجَأَتْهَا العَيْنُ والسُّتْرُ وَاقِعُ
قَطَفْتُ بِأَيْدِيهَا ثَمَارَ نُحُورِهَا كأَيْدِي الأَسَارَى أَنْقَلَتْهَا الجَوَامِعُ
وقال أشجع^(١٤):

وَجَارِيَةٍ لَمْ تَسْرِقِ الشَّمْسُ نَظْرَةَ إِلَيْهَا وَلَمْ يَعْبَثْ بِأَيَّامِهَا الدَّهْرُ
وجعل فقرة لما عَيَّبَ من الاستعارة من الشعر والكلام^(١٥) من أمثلتها:
قول عبيد الله بن زياد يوماً - وكانت فيه لُكنة - : افتحوا سيفي، يريد
سُلُوهُ فقال يزيد بن مفرغ^(١٦):

وَيَوْمَ فَتَحْتَ سَيْفَكَ مِنْ بَعِيدٍ أَضَعْتَ وَكُلَّ أَمْرِكَ لِلضَّيَاعِ
وقد جعل أبو هلال العسكري^(١٧) الباب التاسع من كتابه الصناعتين في
شرح البديع، وهو خمسة وثلاثون فصلاً؛ أولها في الاستعارة والمجاز.
وخصَّها ابن رشيقي في باب قال فيه^(١٨):

«الاستعارة أفضل المجاز، وأول أبواب البديع، وليس في حلي الشعر
أعجب منها، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها، ونزلت موضعها»،
فقد وضعها ابن رشيقي أول ألوان البديع، ونعت جمالها، وجعلها ابن أبي
الأصبع^(١٩) في باب مستقل.

(١٤) المحب والمحبوب: ١ / ٢٩٥.

(١٥) ينظر: البديع: ٢٣ وما بعدها.

(١٦) ديوان يزيد بن مفرغ: ١٥٥.

(١٧) ينظر: الصناعتين: ٢٧٢ وما بعدها.

(١٨) العمدة: ٤٦٠.

(١٩) ينظر: تحرير التحبير: ٩٧ وما بعدها.

الباب الثاني من البديع وهو التجنيس:

قال ابن المعتز^(٢٠): «وهو أن تجيء الكلمة تُجانسُ أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها على السبيل الذي ألف الأصمعي كتاب الأجناس عليها».

ذكر ابن المعتز حدود التجنيس، وأنه يكون في المنظوم والمنثور من الكلام، وصرح أنه قد سبق إلى التأليف في هذا الفن البلاغي، وجعل التجنيس على نوعين، أولهما^(٢١):

أن تُجانس الكلمة كلمةً أخرى في تأليف حروفها ومعناها ويشتق منها مثل قول الشاعر^(٢٢):
[من الكامل]

يَوْمٌ خَلَجْتَ عَلَى الْخَلِيجِ نَفوسَهُمْ

ثانيهما: أن تُجانس الكلمة كلمةً أخرى في تأليف الحروف دون المعنى مثل قول الشاعر^(٢٣):
[من البسيط]

إِنَّ لَوْمَ الْعَاشِقِ اللُّومُ

قال الله تعالى: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وقاله سبحانه: ﴿فَأَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ [الروم: ٤٣].

(٢٠) البديع: ٢٥. وكتاب الأصمعي هذا مفقود فلم أعثر له على ذكر في فهارس المخطوطات، ولعل ابن المعتز قد أفاد منه في تصنيف كتاب البديع.

(٢١) ينظر: البديع: ٢٥.

(٢٢) الصناعتين: ٣٣٠. وتمام البيت: غصباً وأنت لمثلها مستهام.

(٢٣) البديع: ٣٢. نسب البيت لمسلم بن الوليد، وتماه:

يا صاحٍ إنَّ أخاك الصب مهموم
فارقُ به إن لومَ.

وقال رسول ﷺ (٢٤): «عَصِيَّةٌ عَصَتْ اللَّهَ، وَغَفَارٌ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ». وقال (٢٥):
«الظُّلْمُ ظُلْمَاتٌ».

وأورد من المنظوم قول أبي تمام (٢٦):
[من الطويل]
جَلَا ظُلْمَاتِ الظُّلْمِ عَنْ وَجْهِ أُمَّةٍ أَضَاءَ لَهَا مِنْ كَوْكَبِ الْحَقِّ أَفْلَهُ
وقال ذو الرُّمَّة (٢٧):
[من الطويل]

كَأَنَّ الْبُرَى وَالْعَاجَ عِجَجَتْ مُتُونُهُ عَلَى عَشْرِ يَرْمِي بِهِ السَّيْلَ أَبْطَحُ
وقول القطامي (٢٨):
[من الوافر]

وَلَمَّا رَدَّهَا فِي الشَّوْلِ شَالَتْ بِذِيَالٍ يَكُونُ لَهَا لِفَاعَا
وقول زهير بن أبي سلمى (٢٩):
[من البسيط]

كَأَنَّ عَيْنِي وَقَدْ سَالَ السَّلِيلُ بِهِمْ وَجِيرَةٌ مَا هُمْ لَوْ أَنَّهُمْ أُمَّمُ
وختم ابن المعتز هذا الباب بقوله (٣٠): «ومن التجنيس المعيب في الكلام والشعر» ذاكراً أمثلة من أشعار المحدثين منها قول منصور بن
الفرج (٣١):
[من المتقارب]

(٢٤) صحيح مسلم: ١/٤٦٨، و ٤/١٩٥٢. الصناعتين: ٣٣٢، وفيهما: غفر الله لها.

(٢٥) صحيح مسلم: ٤/١٩٩٦.

(٢٦) ديوانه: ٣/٢٦.

(٢٧) ديوانه: ٢/١٢٠٠. ورواية عجز البيت فيه: على عَشْرِ نَهَى السَّيْلَ أَبْطَحُ.

البرى: الخلاخيل. عيجت: عطفت. العشر: شجر ناعم لين. شبه ساعديها
وساقها بشجر الشعر في استوائه ولينه.

(٢٨) ديوانه: ٢٦٨.

(٢٩) شرح ديوانه: ١٤٨. ورواية عجز البيت فيه: وَعَبْرَةٌ مَا هُمْ لَوْ أَنَّهُمْ أُمَّمُ.

السليل: واد. الأمام: بين القريب والبعيد.

(٣٠) البديع: ٣٤. وما بعدها.

(٣١) الصناعتين: ٣٤٥. وقال أنشده ابن المعتز، ولم ينسب البيت كما وردت نسبته في البديع.

أَكَابِدُ مِنْكَ أَلِيمَ الْأَلَمِ فَقَدْ أَنْحَلَ الْجِسْمَ بَعْدَ الْجَسَمِ
وقول آخر (٣٢): [من البسيط]

كَمْ رَأْسٍ رَأْسٍ بَكَى مِنْ غَيْرِ مُقْلَتِهِ دَمًا وَتَحَسَّبُهُ بِالْقَاعِ مُبْتَسِمًا
وقول أبي تمام (٣٣): [من الكامل]

ذَهَبَتْ بِمَذْهِبِهِ السَّمَاحَةُ فَالتَوْتُ فِيهِ الظُّنُونُ أَمْذَهَبُ أَمْ مَذْهَبُ
فقد أدرج ابن المعتز الأمثلة السابقة وغيرها من التجنيس المعيب وردت في أشعار المحدثين، ولم يُبين أسباب هذه المآخذ، ولم يذكر أمثلة من التجنيس المعيب في النثر كما تعهد في أول الفقرة. ونجد هذا الباب عند من جاء بعده ومنهم (٣٤): أبو هلال العسكري، وابن رشيق، وابن أبي الأصبع.

الباب الثالث من البديع وهو المطابقة:

قال ابن المعتز (٣٥): «قال الخليل رحمه الله يقال: طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذو واحد، وكذلك قال أبو سعيد (٣٦) فالقائل لصاحبه أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان، قد طابق بين السعة والضيق في هذا الخطاب».

ثم أتبع قوله بأمثلة منها قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى

الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٧٩].

(٣٢) الصناعتين: ٣٤٥. بلا نسبة. ورواية صدر البيت فيه: كَمْ رَأْسٍ رَأْسٍ بَكَى مِنْ غَيْرِ مُقْلَتِهِ.

(٣٣) ديوان أبي تمام: ١/ ١٢٩.

(٣٤) الصناعتين: ٣٣٠. العمدة: ١/ ٥٤٩. تحرير التحبير: ١٠٢.

(٣٥) البديع: ٣٦ وما بعدها.

(٣٦) لعلّه يقصد الأصمعي.

وقول الرسول ﷺ لِلْأَنْصَارِ^(٣٧): «إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَرْعِ وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمْعِ».

وذكر ابن المعتز أن هذا اللون من البديع يأتي في النثر والشعر، وجعل من أمثلة المطابقة في الشعر قول زهير^(٣٨):

لَيْتُ بَعَثَرٍ يَصْطَادُ الرَّجَالَ إِذَا مَا اللَّيْثُ كَذَّبَ عَن أَقْرَانِهِ صَدَقًا
وقول الحسين بن مطير^(٣٩):

مُبْتَلَّةُ الْأَرْدَافِ زَانَتْ عُقُودَهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا
وقول طفيل الغنوي^(٤٠):

بِسَاهِمِ الْوَجْهِ لَمْ يُقْطِعْ أَبَاجِلُهُ يُصَانُ وَهُوَ لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْدُولُ
وقول الفرزدق^(٤١):

قَبَحَ الْإِلَهُ بَنِي كَلِيبٍ إِنَّهُمْ لَا يَغْدِرُونَ وَلَا يُفُونَ لِجَارِ
ثم ذكر بعض أقوال المحدثين، ومن أمثلة منظومهم قول أبي تمام^(٤٢):

لَهُمْ مَنْزَلٌ قَدْ كَانَ بِالْبَيْضِ كَالْمَهَا فَصَيَحَ الْمَعَانِي ثُمَّ أَصْبَحَ أَعْجَمًا
[من الطويل]

(٣٧) الكامل في اللغة والأدب: المبرد: ١/٧. الفائق في غريب الحديث والأثر: الزمخشري: ٣/١١٥.

(٣٨) شرح ديوانه: ٥٤.

(٣٩) شعر الحسين بن مطير: ١٥٨. ورواية صدر البيت فيه: مخرصة الأوساط زانت عقودها. - وفي ديوان مجنون ليلي: ٧٤. ورواية صدر البيت فيه:

مُبْتَلَّةُ الْأَعْجَازِ زَانَتْ عُقُودَهَا

(٤٠) ديوان الطفيل الغنوي: ٨١. ساهم الوجه: قليل لحم الوجه لطول غزوه، يقطع أباجله: لم يصبه داء يقطع أباجله. الأبجل: عرق في الرجل.

(٤١) شرح ديوانه: ١/٥٨١.

(٤٢) ديوانه: ٣/٢٣٢.

وردَّ عِيُونَ النَّاطِرِينَ مُهَانَةً وقد كَانَ مما يُرْجَعُ الطَّرْفَ مُكْرَمًا
ثم ذكر المعبى من المطابقة، والعجيب منه فى الشعر^(٤٣)، ومثل له
بقول الأخطل^(٤٤):
[من الكامل]

قُلْتُ الْمُقَامَ وَنَاعِبٌ قَالَ النَّوَى فَعَصَيْتُ أَمْرِي وَالْمُطَاعُ غُرَابٌ
ونعت هذا البيت بأنه من غث الكلام وبارده. ولعله يقصد بالغباشة ما ضمَّ
البيت من ألفاظ تثير التشاؤم فى عرف العرب، وهى النعيب، والنوى، والغراب.
وأما البرودة فلهذا يقصد خلو البيت من عاطفة حقيقية تدل على تأثر الشاعر.
وقال أيضاً^(٤٥):
[من الكامل]

كَمْ جَحْفَلٍ طَارَتْ قُدَامَى خَيْلِهِ خَلَفْتَهُ يَوْمَ الرَّدَى مَتَوَفَا
أَعْلَمْتَ بَابَكَ وَهُوَ رَأْسٌ أَنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدَكَ حَافِرًا وَوَزِيفَا
واكتفى ابن المعتز بإدراج هذه الأمثلة؛ ولم يبين المآخذ عليها أو وجه
العيب فيها.

وقد أفرد أبو هلال العسكري^(٤٦) فصلاً مستقلاً للمطابقة، بين حدها
وإجماع الناس عليه، وذكر مخالفة قدامة بن جعفر لهم، وكذلك فعل ابن
رشيق إذ أدرجها فى باب مستقل.

(٤٣) انظر: البديع: ٤٦ و٤٧.

(٤٤) الصناعتين: ٣٢٨. نسب البيت إلى الأخطل.

(٤٥) الصناعتين: ٣٢٨. بلا نسبة. ورواية صدر البيت الثانى: أَعْلَمْتَ نَابَكَ وَهُوَ رَأْسٌ أَنَّهُ.

والوظيفة: هو مستدق الذراع والساق من الخيل ومن الإبل وغيرها.

(٤٦) ينظر: الصناعتين: ٣١٦. العمدة: ١ / ٥٧٦. تحرير التحبير: ١١١.

الباب الرابع من البديع: رد أعجاز الكلام على ما تقدمها:

قال ابن المعتز^(٤٧): «وهو رد أعجاز الكلام على ما تقدمها وهذا الباب ينقسم على ثلاثة أقسام:

فمن هذا الباب ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة في نصفه الأول مثل قول الشاعر^(٤٨):

تَلَقَى إِذَا مَا الْأَمْرُ كَانَ عَرْمَرَمًا فِي جَيْشِ رَأْيٍ لَا يُفْلُ عَرْمَرَمٍ
ومنه ما يوافق آخر كلمة منه أول كلمة في نصفه الأول كقوله^(٤٩):

[من الطويل]

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَشْتَمُ عَرَضَهُ وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعٍ
ومنه ما يوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه كقول الشاعر^(٥٠): [من الوافر]
عَمِيدُ بَنِي سُلَيْمٍ أَفْصَدَتْهُ سِهَامُ الْمَوْتِ وَهِيَ لَهُ سِهَامُ
وقال الله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ
وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١]. وقال عز وجل: ﴿لَا تَنْفَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى﴾ [طه: ٦١].

وفي الحديث: «مَنْ مَقَّتْ نَفْسَهُ فَقَدْ آمَنَهُ اللَّهُ مِنْ مَقْتِهِ».

وذكر من أمثلة هذا الباب شعراً قول طُفَيْلٍ^(٥١):

مَحَارِمَكَ امْنَعَهَا مِنَ الْقَوْمِ إِنَّنِي أَرَى حِقْبَةً قَدْ ضَاعَ فِيهَا الْمَحَارِمُ

(٤٧) البديع: ٤٧ و ٤٨.

(٤٨) البيت بلا نسبة في: الصناعتين: ٤٠٠. العمدة: ١/ ٥٧٢. تحرير التخبير: ١١٦.

(٤٩) ديوان الأفيشر الأسدي: ٩٢. والرواية فيه: سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَلْطَمُ وَجْهَهُ.

(٥٠) العمدة: ١/ ٥٧٢. ورواية صدر البيت فيه: عزيز بني سليم أفصدته.

(٥١) ديوانه: ١٤٠. ورواية عجز البيت فيه: أرى جفنةً قد ضاعَ فيها المَحَارِمُ.

وقول الأَعشى ميمون بن قيس^(٥٢): [من المتقارب]
كثومِ الرُّغَاءِ إِذَا هَجَّجَتْ وَكَانَتْ بَقِيَّةَ ذَوْدِ كُثْمِ

ومن شعر المحدثين قول مسلم^(٥٣): [من الطويل]
تَبَسَّمَ عَن مِثْلِ الْأَقَاحِي تَبَسَّمَتْ لَهُ مُرْنَةٌ صَافِيَةٌ فَتَبَسَّمَ

وختم ابن المعتز هذا الباب بذكر مثالين من المعيب فيه^(٥٤)، أحدهما

قول ذي نواس البَجَلِي^(٥٥): [من الطويل]

يُتِيْمُنِي بَرْقُ الْمَبَاسِمِ بِالْحِمَى وَلَا بَارِقُ إِلَّا الْكَرِيمُ يُتِيْمُهُ
ونجد هذا الباب وأقسامه الثلاثة عند أبي هلال العسكري^(٥٦)، أمّا ابن
رشيق فقد أسماه التصدير ناقلاً تقسيم ابن المعتز وأمثله^(٥٧)، وفصل ابن أبي
الأصبع^(٥٨) القول فيها.

الباب الخامس من البديع المذهب الكلامي:

قال ابن المعتز: «وهو مذهب سمّاه عمرو الجاحظ المذهب الكلامي. وهذا باب ما أعلم أنّي وجدت في القرآن منه شيئاً، وهو ينسب إلى التكلف، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»^(٥٩).

(٥٢) ديوانه: ٣٧. يريد أنّها مهذبة إذا ركبت. الذود: ما بين الثلاث إلى عشر من الإبل.

(٥٣) شرح ديوان صريع الغواني: ٣٤٠.

(٥٤) ينظر: البديع: ٥٣.

(٥٥) الصناعتين: ٤٠٣. ورواية صدر البيت فيه: يُتِيْمُنِي بَرْقُ الْمَبَاسِمِ بِالضْحَى.

(٥٦) الصناعتين: ٤٠٠.

(٥٧) العملة: ١ / ٥٧١ و ٥٧٢.

(٥٨) تحرير التحرير: ١٦٦.

(٥٩) البديع: ٥٣.

ذكر ابن المعتز أنَّ الجاحظ قد سبقه إلى تسمية هذا المذهب من البديع، وهو مذهب يخلو منه كتاب الله، وجعل من أمثله في أشعار المتقدمين قول الفرزدق^(٦٠):

لِكُلِّ امْرِئٍ نَفْسَانِ نَفْسٌ كَرِيمَةٌ وَأُخْرَى يُعَاصِيهَا الْفَتَى وَيُطِيعُهَا
وَنَفْسُكَ مِنْ نَفْسِكَ تَشْفَعُ لِلنَّدَى إِذَا قَلَّ مِنْ أَحْرَارِهِنَّ شَفِيعُهَا

وفي أشعار المحدثين قول إبراهيم بن العباس^(٦١):

وَعَلَّمْتَنِي كَيْفَ الْهَوَى وَجَهْلُهُ وَعَلَّمْتُمْ صَبْرِي عَلَى ظُلْمِكُمْ ظُلْمِي
وَأَعْلَمُ مَا لِي عِنْدَكُمْ فَيَمِيلُ بِي هَوَايَ إِلَى جَهْلِي فَأُعْرِضُ عَنْ حِلْمِي

وختم هذا الباب بذكر أمثلة مما عيب فيه قال^(٦٢): «وممن أساء في هذا

المعنى العلوي الكوفي حيث يقول^(٦٣):

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ قَلْبًا لَوْ كَحَلَّتْ بِهِ عَيْنِكَ لَا كَتَحَلَّتْ مِنْ حَرِّهِ بِدَمٍ

ويظهر من الأمثلة التي أوردها ابن المعتز في هذا الباب أنه يقوم على

الجدل والسؤال والحجج العقلية التي شُهرَ بها أصحابُ الملل والمناظرات الفكرية.

وقد أخذ أبو هلال العسكري^(٦٤) هذا الباب بتسميته وجُلَّ ما ساقه ابن

المعتز من شواهد عليه.

(٦٠) شرح ديوانه: ٢ / ٦٣.

(٦١) ديوان إبراهيم بن العباس الصولي في (الطرائف الأدبية): ١٥٠. العمدة: ٢ / ٦٩٢.

معاهد التنصيص: ٣ / ٤٩.

(٦٢) ينظر: البديع: ٥٦ و ٥٧.

(٦٣) الزهرة: ١ / ٨٣.

(٦٤) الصناعتين: ٤٢٦.

وأدرج ابن رشيق^(٦٥) ما جاء به ابن المعتز في باب سمّاه باب التكرار، وبعده بقرنين من الزمن نجد ابن أبي الأصبغ قد أفرد المذهب الكلامي في باب مستقل.

ثم أتبع ابن المعتز الأبواب الخمسة السابقة بما أسماه محاسن الكلام، وهي الأبواب الآتية:

باب الالتفات:

قال ابن المعتز^(٦٦): «وهو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر».

وجعل من أمثله قول الله جل ثناؤه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَبَ بِرِجِّ طَيْبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(٦٧) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ^(٦٨) وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿ [إبراهيم: ١٩ - ٢١].

وذكر من المنظوم قول جرير^(٦٧):

مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طُلُوحٍ سُقِيَتِ الْغَيْثَ أَتَيْتُهَا الْخِيَامُ
أَتَنَسَى يَوْمَ تَضَقُّلُ عَارِضِيهَا بَعُودِ بَشَامَةٍ سُقِيَ الْبَشَامُ

وقول الطائي^(٦٨):

وَأَنْجَدْتُمْ مِنْ بَعْدِ إِنْهَامِ دَارِكُمْ فَيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدِ

(٦٥) العمدة: ٢ / ٦٩٢ و٦٩٣.

(٦٦) ينظر: البديع: ٥٨ و٥٩.

(٦٧) ديوان جرير: ١ / ٢٧٨ و٢٧٩.

(٦٨) ديوان أبي تمام: ٢ / ١١٠.

وقول جرير^(٦٩):
 [من الكامل]
 طَرَبَ الْحَمَامُ بِذِي الْأَرَاكِ فَشَاقِنِي لَا زِلْتَ فِي غَلَلٍ وَأَيْكَ نَاصِرٍ
 وظهر أن ابن المعتز قد جعل الالتفات قسامين، أولهما: لفظي،
 وثانيهما: معنوي كما في بيت جرير إذ ترك الشاعر الحديث عن أشواقه التي
 هيَّجها الحمامُ مُنصرِفاً للدَّعاء له بأن يبقى بمثل تلك الدوحة.
 وقد جعل أبو هلال العسكري^(٧٠) الالتفات على ضربين، وهو بذات
 الاسم عند ابن رشيق^(٧١) الذي أشار إلى الاختلاف في تسميته.

باب الاعتراض:

قال ابن المعتز^(٧٢): «ومن محاسن الكلام أيضاً والشعر اعتراض كلام
 في كلام لم يُتمَّ معناه ثم يعود إليه فيتمُّه في بيت واحد».
 ومن أمثله قول كثير^(٧٣):
 [من الوافر]
 لو أنَّ الْبَاخِلِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْمَطَالَ
 وقول النابغة الجعدي^(٧٤):
 [من الوافر]
 أَلَا زَعَمَتْ بَنُو سَعْدٍ بَأَنِّي أَلَا كَذَبُوا كَبِيرُ السِّنِّ فَإِنْ
 ويظهرُ تَبُّهُ ابن المعتز إلى وحدة معنى البيت في نظم الشعر، وتماسك

(٦٩) ديوان جرير: ٢ / ٣٠٧.

(٧٠) الصناعتين: ٤٠٧.

(٧١) العمدة: ١ / ٦٣٦ وما بعدها.

(٧٢) ينظر: البديع: ٥٩ و٦٠ و٧٧.

(٧٣) ديوان كثير: ٥٠٧.

(٧٤) نُسب له في: كتاب المعمرين: ٦٤. خزانة الأدب: البغدادي: ٣ / ١٦٨. وهو في ديوان

النابغة الذبياني: ٢٣٣.

أجزائه، والابتعاد عن تعلق معناه بالبيت الذي يليه، إذ يعدُّ هذا التعلق عيباً من عيوب النظم^(٧٥) عند النقاد، ويُسمَّى التضمين، وجعل ابن المعتز حسن التضمين في باب مفرد.

وهذا الباب عند أبي هلال العسكري بتسميته^(٧٦) وحده، أمّا ابن رشيق^(٧٧) فقد سمّاه التميم أو التمام وأطال القول فيه، وسمّاه ابن أبي الأصبغ^(٧٨) باب التمام.

باب الرجوع:

وهو أن يقول شيئاً ويرجع عنه^(٧٩):

[من الكامل]

وجعل من أمثله قول بشار^(٨٠):

عِنْدَ الْأَمِيرِ وَهَلْ عَلَيْهِ أَمِيرٌ

تُبْتُ فَاصِحَ أُمَّهِ يَغْتَابِنِي

[من الرجز]

وقول أبي نواس^(٨١):

إِلَّا النَّبِيُّ الطَّاهِرُ الْأَمِينُ

يَا خَيْرَ مَنْ كَانَ وَمَنْ يَكُونُ

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ بَلَى هَارُونَ

إِمَامٌ عَدْلٍ مَالَهُ قَرِينُ

[من الطويل]

وقول آخر^(٨٢):

(٧٥) ينظر: الزهرة: ٢ / ٨٢٥. العقد الفريد: ٦ / ٣٥٥. الموشح: ٢٤. الصناعتين: ٤٢.

العمدة: ١ / ٣٢٢.

(٧٦) الصناعتين: ٤١٠.

(٧٧) العمدة: ١ / ٦٤٥.

(٧٨) ينظر: تحرير التحبير: ١٢٧.

(٧٩) ينظر: البديع: ٦٠.

(٨٠) العمدة: ١ / ٦٤١.

(٨١) نقد الشعر: قدامة بن جعفر: ١٧٢. الموشح: ٢٤١ و ٢٤٧.

(٨٢) شعر يزيد بن الطثرية: ٨٨.

أَلَيْسَ قَلِيلاً نَظْرَةً إِنْ نَظَرْتُهَا إِلَيْكَ وَكَأَنَّ لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلٌ
وقد نقل أبو هلال العسكري^(٨٣) التسمية وبعض شواهد ابن المعتز؛
وأدرجها في فصل مستقل.

باب حسن الخروج من معنى إلى معنى^(٨٤):

ومن أمثله قول بشار^(٨٥):
[من الطويل]
خَلِيلِي مِنْ جَرَمٍ أَعِينَا أَخَاكَمَا عَلَى دَهْرِهِ إِنَّ الْكَرِيمَ مَعِينُ
وَلَا تَبْخَلَا بُحْلَ ابْنِ قَزَعَةَ إِنَّهُ مَخَافَةَ أَنْ يُرَجَى نَدَاهُ حَزِينُ
إِذَا جِئْتَهُ فِي الْحَقِّ أَغْلَقَ بَابَهُ فَلَمْ تُلْفِهِ إِلَّا وَأَنْتَ كَمِينُ
وقول زهير^(٨٦):
[من البسيط]

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَ لَ كَنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرْمُ
وقد سمى أبو هلال العسكري^(٨٧) هذا الباب باب الاستطراد؛ ونقل ما
أورده ابن المعتز من شواهد، وكذلك الأمر عند ابن رشيق^(٨٨)، ومن بعده
ابن أبي الأصبع.

(٨٣) ينظر: الصناعتين: ٤١١.

(٨٤) ينظر: البديع: ٦٠ و٦١.

(٨٥) ديوان بشار: ٤ / ٢١١. ورواية صدر البيت الأول فيه: خَلِيلِي مِنْ جَرَمٍ أَعِينَا أَخَاكَمَا.

ورواية البيت الثالث:

إِذَا جِئْتَهُ فِي حَاجَةٍ سَدَّ بَابَهُ فَلَمْ تُلْفِهِ إِلَّا وَأَنْتَ كَمِينُ

(٨٦) شرح ديوان زهير: ١٥٢.

(٨٧) ينظر: الصناعتين: ٤١٤.

(٨٨) ينظر: العمدة: ١ / ٦٢٨. تحرير التحبير: ١٣٠.

باب تأكيد المدم بما يشبه الذم^(٨٩):

ومن أمثله قول الذبياني^(٩٠): (من الطويل):
 وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُوقٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
 وقول النابغة الجعدي^(٩١): (من الطويل):
 فَتَى كَمَلَتْ أَخْلَافُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا
 وهذا الباب وشواهدة عند أبي هلال العسكري^(٩٢) باسم الاستثناء،
 وكذلك تسميته عند ابن رشيق^(٩٣)، وقد فصل القول فيه.
 أمّا ابن أبي الأصعب^(٩٤) فقد نقل التسمية والشواهد كما أوردها ابن المعتز.

باب تجاهل العارف^(٩٥):

ومثّل له بقول زهير بن أبي سلمى^(٩٦): [من الوافر]
 وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي أَقَوْمٌ آلُ حِضْنٍ أَمْ نِسَاءُ
 وقول ابن أبي أمية^(٩٧): [من الطويل]
 فَدَيْتِكَ لَمْ تَشْعَ وَلَمْ تَرَوْ مِنْ هَجْرِي أَتَّسَّحَسُنُ الْهَجْرَانَ أَكْثَرَ مِنْ شَهْرٍ

(٨٩) ينظر: البديع: ٦٢.

(٩٠) ديوان النابغة الذبياني: ٤٤.

(٩١) العملة: ١ / ٦٤٣. تحرير التحرير: ١٣٣.

(٩٢) الصناعتين: ٤١٤.

(٩٣) العملة: ١ / ٦٤٢.

(٩٤) ينظر: تحرير التحرير: ١٣٣.

(٩٥) ينظر: البديع: ٦٢.

(٩٦) شرح ديوان زهير: ٧٣.

(٩٧) العملة: ١ / ٢٧٣.

أَرَانِي سَأَسْأَلُو عَنْكَ إِنْ دَامَ مَا تَرَى بَلَا ثِقَّةَ لَكِنْ أَظُنُّ وَلَا أَدْرِي
وقد سمى أبو هلال العسكري^(٩٨) هذا الباب: باب تجاهل العارف
ومزج الشك باليقين.

أمَّا ابن رشيق^(٩٩) فقد سمّاه باب التَّشْكُّك، ونقل شواهد ابن المعتز غير
شاهد واحد منها، وهذا الباب بتسميته عند ابن أبي الأصعب^(١٠٠).

باب الهزل يُراد به الجدُّ^(١٠١):

ومن الأمثلة التي ذكرها ابن المعتز قول أبي العتاهية^(١٠٢): [من البسيط]
أُرْزِقُكَ أُرْزِقُكَ بِسْمِ اللَّهِ أُرْزِقُكَ مِنْ بُخْلِ نَفْسٍ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيكَ
مَا سَلِمَ نَفْسِكَ إِلَّا مَنْ يُتَارِكُهَا وَمَا عَدُوُّكَ إِلَّا مَنْ يُرْجِيكَ
وقول أبي نواس^(١٠٣):

إِذَا مَا تَمِيمِي أَتَاكَ مُفَاخِرًا فَقُلْ عَدَّ عَن ذَا كَيْفَ أَكَلُكَ لِلضَّبِّ
وقد أدرج ابن رشيق هذا الباب في باب الاقتضاء والاستنجاز قال^(١٠٤):
«وابن المعتز يسمي هذا النوع مزحاً يراد به الجد»، وذكره ابن أبي
الأصعب^(١٠٥) بتسميته.

(٩٨) الصناعتين: ٤١٢.

(٩٩) العمدة: ١/٦٧٠.

(١٠٠) ينظر: تحرير التحبير: ١٣٥.

(١٠١) ينظر: البديع: ٦٣.

(١٠٢) تحرير التحبير: ١٣٩. معاهد التنصيص: ٣/١٥٨.

(١٠٣) تحرير التحبير: ١٣٩. الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٨٥.

(١٠٤) العمدة: ٢/٨٢٧.

(١٠٥) تحرير التحبير: ١٣٨.

باب حسن التضمين^(١٠٦):

ومن أمثله قول الأخيطل^(١٠٧):
ولقد سَمَا لِلخُرْمِيِّ فلم يُقْلُ
بَعْدَ الوَغَى (لكن تَضَائِقَ مُقْدَمِي)
[من الكامل]
وقول آخر^(١٠٨):
[من السريع]

عَوَّذَ لَمَّا بَتُّ ضَيْفًا لَهُ أَقْرَاصُهُ بِخُلَا بِيَّاسِينَ
فَبِتُّ وَالْأَرْضُ فِرَاشِي وَقَدْ غَنَّتْ (قِفَا نَبِك) مَصَارِينِي
وظهر التضمين في المثالين حيث ضمن الأخيطل جزءاً من بيت
عترة^(١٠٩)، وضمن الآخر أول لفظين من مطلع معلقة امرئ القيس^(١١٠).
ونقل أبو هلال العسكري^(١١١) ما وضعه ابن المعتز في هذا الباب، وقد سمّاه
ابن رشيق^(١١٢): باب التضمين والإجازة، وهو بتسميته عند ابن أبي الأصبغ^(١١٣).

باب التعريض والكناية^(١١٤):

جعل ابن المعتز من أمثلة هذا الباب قول بعض ولد العباس بن محمد
لابنه يابن الزانية فقال: الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك.

(١٠٦) ينظر: البديع: ٦٤.

(١٠٧) الصناعتين: ٤٢ بلا نسبة.

(١٠٨) الصناعتين: ٤٢ بلا نسبة.

(١٠٩) شرح ديوانه: ١٨١.

(١١٠) ديوانه: ٨.

(١١١) ينظر: الصناعتين: ٤٢.

(١١٢) العمدة: ٢ / ٧٠٢.

(١١٣) تحرير التحرير: ١٤٠.

(١١٤) ينظر: البديع: ٦٤.

وقول آخر في حجام^(١١٥): [من الطويل]

أَبُوكَ أَبٌ مَا زَالَ لِلنَّاسِ مُوجِعاً لَأَعْنَاقِهِمْ نَقْرًا كَمَا يَنْقُرُ الصَّقْرُ
إِذَا عَوَّجَ الكُتَابُ يَوْمًا سَطُورَهُمْ فَلَيْسَ بِمُعَوِّجٍ لَهُ أَبَدًا سَطْرُ

فقد ورد هذان المصطلحان متلازمان عند ابن المعتز، ولم يُبين حدَّهما، أو يُعرفهما، واكتفى بذكر مجموعة من الشواهد التي تحمل دلالة التعريض، ولعلَّ في هذا ما يدلُّ على وحدة دلالتها عنده.

أمَّا أبو هلال العسكري^(١١٦) فقد قدّم في تسمية هذا الباب لفظ الكناية على التعريض، وأدرج أمثلة ابن المعتز في مصنّفه، وتحدّث ابن رشيق^(١١٧) على التعريض في باب الإشارة، وأفرد ابن أبي الأصبع باباً للكناية^(١١٨).

باب الإفراط في الصفة^(١١٩):

فَمِمَّنْ مَلَّحَ فِي هَذَا الْمَعْنَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ الصُّوْلِيُّ فِي قَوْلِهِ^(١٢٠):

[من المديد]

يَا أَخَالَمْ أَرَّ فِي النَّاسِ خِلاً مِثْلَهُ أَسْرَعُ هَجْراً وَوَصْلاً
كُنْتُ لِي فِي صَدْرِ يَوْمِي صَدِيقاً فَعَلَى عَهْدِكَ أَمْسَيْتَ أَمْ لَا

[من السريع]

وقال آخر يهجو رجلاً^(١٢١):

(١١٥) البيت بلا نسبة في: كتاب التشبيهات: ابن أبي عون: ٢٧٢. الصناعتين: ٢٨٧.

(١١٦) الصناعتين: ٣٨١ وما بعدها.

(١١٧) ينظر: العمدة: ١/ ٥١٣ وما بعدها.

(١١٨) ينظر: تحرير التحيير: ١٤٢.

(١١٩) ينظر: البديع: ٦٥ وما بعدها.

(١٢٠) ديوان الصولي: ١٦٤. الصناعتين: ٣٧٥.

(١٢١) الصناعتين: ٣٧٣. بلا نسبة.

تَبْكِي السَّمَاوَاتُ إِذَا مَا دَعَاهُ وَتَسْتَعِيدُ الْأَرْضُ مِنْ سَجْدَتِهِ
 إِذَا اشْتَهَى يَوْمًا لُحُومَ الْقَطَا صَرَعَهَا فِي الْجَوِّ مِنْ نَكْهَتِهِ
 وقال عباس الخياط يهجو إماماً بطيء القراءة^(١٢٢): [من المنسرح]
 إِنَّ قَرَأَ (العَادِيَاتِ فِي رَجَبٍ) لَمْ يَقْرَأْ آيَاتَهَا إِلَى رَجَبٍ
 بَلْ هُوَ لَا يَسْتَطِيعُ فِي سَنَةٍ يُخْتَمُّ (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ)
 ونجد أبا هلال العسكري^(١٢٣) قد أفرد باباً سمّاه: باب الغلو، وأبان
 حدّه، وأدرج شواهد فيها شواهد ابن المعتز. وكذلك سمّاه ابن رشيق^(١٢٤)،
 وتبع ابن أبي الأصعب^(١٢٥) ابن المعتز في تسمية هذا الباب.

باب حسن التشبيه^(١٢٦):

وقف ابن المعتز عند هذا الباب وقفة مُطَوَّلَةٌ مفاضلاً بين جمال أبياته، بين
 تشبيه حسن، وتشبيه عجيب، وتشبيه مُستحسن عند قدماء الشعراء ومحدثيهم.
 وبدأ أمثله بقول امرئ القيس^(١٢٧): [من المتقارب]
 وَمَسْرُودَةَ السَّكِّ مَوْضُونَةٌ تَضَاعَلُ فِي الطِّيِّ كَالْمِبْرِدِ
 تَفِيضٌ عَلَى الْمَرِّ أَرْدَانُهَا كَفَيْضِ الْأَتِيِّ عَلَى الْجَدِّ

(١٢٢) الصناعتين: ٣٧٥. بلا نسبة.، وذَكَرَ عباس الخياط في الموشح: ٢٩٢. خزانة الأدب:
 البغدادي: ٤ / ٢٩٢.

(١٢٣) ينظر: الصناعتين: ٣٦٩ وما بعدها.

(١٢٤) ينظر: العمدة: ١ / ٦٦١ وما بعدها.

(١٢٥) ينظر: تحرير التحبير: ١٤٧.

(١٢٦) ينظر: البديع: ٦٨ وما بعدها.

(١٢٧) ديوانه: ١٨٧ و ١٨٨. ورواية الشطر الأول: ومشدودة السكِّ مَوْضُونَةٌ، يريد: درعاً.

الموضونة: المنسوجة كالوضيين. تضاعل في الطي: تلطف وتصغر. أردانها: أكمامها.

تفيض: سابعة تامة. الأتي: السيل الذي يأتي من كلِّ جانب. الجدجد: الأملس من الأرض.

وقوله (١٢٨): [من الطويل]

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي

وقول النابغة الذبياني (١٢٩): [من الطويل]

تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ زُورًا عُيُونُهَا جُلُوسَ الشُّيُوخِ فِي مُسُوكِ الْأَرَانِبِ
وأفرد فقرة للتشبيهات العجيبة، وجعل من أمثلتها قول ابن مقبل (١٣٠):

[من البسيط]

وَلِلْفُؤَادِ وَجِيبٌ تَحْتَ أَبْهَرِهِ لَدَمَ الْغَلَامِ وَرَاءَ الْغَيْبِ بِالْحَجَرِ

وقول الأعمش (١٣١): [من الطويل]

وَعُرِّيَتْ مِنْ مُلْكٍ وَخَيْرٍ جَمَعَتْهُ كَمَا عُرِّيَتْ مِنْ مِمَّا تَمُرُّ الْمَغَازِلُ

وقول عترة بن شداد في الغراب (١٣٢): [من الكامل]

حَرِقُ الْجَنَاحِ كَأَنَّ لِحْيِي رَأْسَهُ جَلَمَانِ بِالْأَخْبَارِ هَشٌّ مَوْلَعُ
إِنَّ الَّذِينَ نَعَبْتَ لِي بِفِرَاقِهِمْ هُمْ أَشْهَرُوا لَيْلِي التَّمَامَ وَأَوْجَعُوا
وأتبع ذلك بأشعار المحدثين جاعلاً من أحسن التشبيه قول بشار (١٣٣):

[من الوافر]

كَأَنَّ فُؤَادَهُ كُورَةٌ تَنْزَى حِذَارَ الْبَيْنِ لَوْ نَفَعَ الْحِذَارُ

(١٢٨) ديوانه: ٣٨.

(١٢٩) ديوانه: ٤٣. والرّواية فيه:

تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ خِزْرًا عُيُونُهَا جُلُوسَ الشُّيُوخِ فِي ثِيَابِ الْمَرَانِبِ

(١٣٠) ديوانه: ٨٤. ورؤية عجز البيت فيه: لَدَمُ الْوَلِيدِ وَرَاءَ الْغَيْبِ بِالْحَجَرِ.

(١٣١) ديوانه: ١٨٥.

(١٣٢) ديوانه: ٩٤.

(١٣٣) ديوانه: ٢٤٨ / ٣. والرّواية فيه:

كَأَنَّ فُؤَادَهُ يَنْزَى حِذَارًا حِذَارَ الْبَيْنِ لَوْ نَفَعَ الْحِذَارُ

وقول منصور بن الفرغ (١٣٤): [من الكامل]
 إِنَّ تَأْتِيهِ يَكُ مِنْهُ رَبْعُكَ مُخْصِبًا والأَرْضُ مُجْدِبَةٌ كَحَدِّ الْأَمْرِ
 طَلَبَ الْمَحَامِدَ جَاهِدًا وَهِيَ الَّتِي لَا يَحْتَوِيهَا طَالِبٌ لَمْ يَجْهَدِ
 ومما يستحسن من التشبيه من أشعار المحدثين:

قول أبي نواس (١٣٥): [من الرجز]
 لَمَّا تَبَدَّى الصُّبْحُ مِنْ حِجَابِهِ كَطَلَعَةِ الْأَشْمَطِ مِنْ جِلْبَابِهِ
 ومن التشبيه الحسن:

قول البحري (١٣٦): [من الكامل]
 تُخْفِي الزَّجَاجَةَ نُورُهَا فَكَأَنَّهَا فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ بغيرِ إِنَاءِ
 وقول الأسدي (١٣٧): [من الطويل]
 إِذَا نَحْنُ رُمْنَا هَجَرَهَا ضَمَّ حُبُّهَا صَمِيمَ الْحَشَا ضَمَّ الْجَنَاحَ الْخَوَافِيَا
 ومن عجائب التشبيه:

قول أبي نواس (١٣٨): [من التسريع]
 تَبْكِي فَتَذْرِي الدَّرَّ مِنْ نَرَجِسٍ وَتَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعُنَابِ
 وقد أفرد أبو هلال العسكري (١٣٩) باباً للحديث عن التشبيه جعله في

(١٣٤) كتاب التشبيهات: ٣٦٢.

(١٣٥) شرح ديوانه: ١ / ١٦٧. ورواية القافية فيه: حجابيه.

(١٣٦) ديوانه: ١ / ٤. وفي ديوان ابن المعتز: ٢٠٧. رابع ثلاثة أبيات.

(١٣٧) الزهرة: ١٨٧. نسبه إلى الأقرع بن معاذ القشيري، ورواية عجز البيت فيه:

صَمِيرَ الْحَشَا ضَمَّ الْجَنَاحَ الْخَوَافِيَا

(١٣٨) كتاب التشبيهات: ١ / ١١٧. الزهرة: ١ / ٣٩٥.

(١٣٩) ينظر: الصناعتين: ٢٤٥ و ٢٦٣.

فصلين، أولهما في حدّ التشبيه وما يستحسن من مشور الكلام ومنظومه،
وثانيهما في البيان عن قبح التشبيه وعيوبه.

ونجد ابن رشيّق^(١٤٠) قد أفرد باباً مستقلاً للتشبيه أيضاً، وكذلك الأمر
عند ابن أبي الأصبع^(١٤١).

باب حسن الابتداءات^(١٤٢):

وقد بدأها بذكر شواهد من الشعر القديم منها:

قول النابغة الذبياني^(١٤٣): [من الطويل]

كَلِينِي لِهَمِّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ

وقول الأعشى^(١٤٤): [من الطويل]

كَفَى بِالَّذِي تُؤَلِّينُهُ لَوْ تَحَبَّبَا

وأتبعها بذكر ابتداءات الشعراء المحدثين ومنها:

قول أبي تمام^(١٤٥): [من الطويل]

أَجَلٌ أَيُّهَا الرِّبْعُ الَّذِي خَفَّ أَهْلُهُ لَقَدْ أَدْرَكَتْ فِيكَ التَّوَى مَا تُحَاوِلُهُ

وقول أبي حية^(١٤٦): [من الطويل]

أَلَا حَيٍّ مِنْ أَجْلِ الحَبِيبِ المَغَانِيَا لَبِسْنَ البَلَى مِمَّا لَبَسْنَ اللَّيَالِيَا

(١٤٠) ينظر: العمدة: ١ / ٤٨٨ وما بعدها.

(١٤١) ينظر: تحرير التحبير: ١٥٩.

(١٤٢) البديع: ٧٥ و٧٦.

(١٤٣) ديوانه: ٤٠.

(١٤٤) ديوانه: ١١٣. هذا صدر وعجزه: شفاء لسقمٍ بعدما كان أشيباً.

(١٤٥) ديوانه: ٣ / ٢١.

(١٤٦) شعره: ١٠٠.

لعل الحديث على ابتداءات القصائد من نافلة القول إذ كان للمطالع أثرها على الشاعر والمتلقي، وكان لها نصيب من اهتمام المصنفين في البلاغة العربية والنقد الأدبي، فقد أفرد أبو هلال العسكري^(١٤٧) فصلاً سمّاه في ذكر المبادئ، وأفرد ابن رشيق^(١٤٨) باباً سمّاه باب المبدأ والخروج والنهاية، وذكرها ابن أبي الأصبح^(١٤٩) بتسمية ابن المعتز، وقد أشار إلى ذلك.

ويتبين من استقراء هذا الكتاب:

- أن كتاب البديع يشتمل على قسمين:

أ- أبواب البديع الخمسة التي حدّدها المصنف، وهي: الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، وردُّ أعجاز الكلام على ما تقدمها، والمذهب الكلامي، وهي من أبواب البلاغة العربية.

ب- محاسن الكلام والشعر، وهي:

الالتفات، والاعتراض، والرجوع، وحسن الخروج، وتأکید المدح بما يشبه الذم، وتجاهل العارف، وهزلٌ يُراد به جدٌّ، وحسن التضمين، والكناية والتعريض، والإفراط في الصفة، وحسن التشبيه، وحسن الابتداءات.

- أن ابن المعتز وضع في كتابه ما ارتضاه من فنون البديع.

- أن ابن المعتز قد أفاد من جهود سابقه كما أخذ عنه بعض من جاء بعده، وهو أمر حتمي تفرضه صلة الموروث الأدبي عبر الأجيال المتلاحقة، ومما أشار إلى إفادته منه:

إفادته من كتاب الأجناس للأصمعي وقد اتخذ سبيله، أو نهج نهجه.

(١٤٧) ينظر: الصنائع: ٤٥١ وما بعدها.

(١٤٨) ينظر: العمدة: ١ / ٣٨٨ وما بعدها.

(١٤٩) ينظر: تحرير التحرير: ١٦٨ وما بعدها.

واعتمد قول الخليل بن أحمد الفراهيدي في بيان حدّ المطابقة.
وفي تسمية المذهب الكلامي إذ اعتمد قول الجاحظ، ومن بعده قد
أفرد له أبو هلال العسكري باباً اتكأ فيه على ما أورده ابن المعتز^(١٥٠)،
وأسماء ابن رشيّق التكرار، وأفرد له باباً قال فيه^(١٥١):

«وقد نقلت هذا الباب نقلاً من كتاب عبد الله بن المعتز»، ذكر ابن
رشيّق أنّه وضع في مصنّفه ما كتبه ابن المعتز.

- وفي حديثه على الالتفات^(١٥٢) أورد قول جرير الذي أورده أبو علي
الحاتمي، وأورده أبو هلال العسكري، وكذلك هو عند ابن رشيّق^(١٥٣).
- أنّ نصوصاً وردت في كتاب ابن المعتز هذا نقلها المهتمون
بالتصنيف في البلاغة والنقد من بعده.

- أنّ بعض الأبواب التي ذكرها ابن المعتز يُدرج في المصطلحات
البلاغية.

- أنّ ابن المعتز قد تقدم في تأليف هذا الكتاب أو خطأ خطوة لم تكن
لمعاصريه كالجاحظ وابن قتيبة والمبرد أو سابقه كأبي عبيدة معمر بن المثنى
الذين كان تأليفهم تأليفاً موسوعياً مختلطاً يشمل ضرورياً من المعارف العامة،
ولعلّ كتابه هذا أوّل مُصنّف متخصص في موضوعه عند العرب.

* * *

(١٥٠) ينظر الصناعتين: ٤٢٦.

(١٥١) العمدة: ٢ / ٦٩٤.

(١٥٢) ينظر في أولية مصطلح الالتفات (حديث الأصمعي) في: حلية المحاضرة: ٥٧،
الصناعتين: ٤٠٧.

(١٥٣) العمدة: ١ / ٦٣٩.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أشعار أولاد الخلفاء من كتاب الأوراق: أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، نشر: ج. هيورث. دن. ط ٣، دار المسيرة، بيروت، ١٤٠١هـ / ١٩٨٢م.
- البديع: ابن المعتز، نشر باعتناء: إغناطيوس كراتشكوفسكي، ط ٣، دار المسيرة، بيروت، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- حلية المحاضرة: محمد بن الحسن الحاتمي، تحقيق: هلال ناجي، ١٩٨٨م.
- خزانة الأدب: عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط ٢، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ديوان إبراهيم بن العباس الصولي، في الطرائف الأدبية، تصحيح: عبد العزيز الميمني، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٢٧م.
- ديوان الأعشى الكبير، شرح: د. محمد محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز. تاريخ المقدمة ١٩٥٠م.
- ديوان الأقيشر الأسدي، صنعة: د. محمد علي دقة، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٥، دار المعارف، مصر، تاريخ الإيداع، ١٩٩٠م.
- ديوان أوس بن حجر، تحقيق: د. محمد يوسف نجم، ط ٢، دار صادر، بيروت، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

- ديوان البحري، ضبط وتصحيح: عبد الرحمن البرقوقي، ط ١، مصر، ١٣٢٩هـ / ١٩١١م.
- ديوان بشار بن برد، نشر: محمد الطاهر ابن عاشور، راجعه: محمد شوقي أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة.
- ديوان أبي تمام (شرح التبريزي)، تحقيق: محمد عبده عزام، ط ٣، دار المعارف، مصر.
- ديوان جرير: (بشرح محمد بن حبيب)، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه، ط ٣، دار المعارف، مصر، ١٩٨٦م.
- ديوان الحطيئة (برواية وشرح ابن السكيت)، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه، ط ١، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ديوان ذي الرُّمّة، تحقيق: د. عبد القدوس أبو صالح، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- ديوان الطفيل الغنوي (شرح الأصمعي): تحقيق: حسان فلاح أوغلي، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.
- ديوان القطامي، تحقيق: د. محمود الربيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م.
- ديوان كثير عزة، جمع: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.
- ديوان مجنون ليلى، قدم له: مجيد طراد، ط ١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- ديوان ابن المعتز، وقف على طبعه: محيي الدين الخياط، مطبعة الإقبال، بيروت، ١٣٣٢هـ.

- ديوان ابن مقبل، تحقيق: د. عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت / دمشق، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- ديوان النابغة الذبياني: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار المعارف، مصر، ١٩٨٥م.
- ديوان يزيد بن مفرغ الحميري، جمع وتحقيق: د. عبد القدوس أبو صالح، ط ٢، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- الزهرة: أبو بكر محمد بن داود الأصبهاني، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، ط ٢، مكتبة المنار، الأردن، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى (صنعة ثعلب)، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
- شرح ديوان صريع الغواني، تحقيق: د. سامي الدهان، ط ٣، دار المعارف، مصر، تاريخ الإيداع ١٩٨٥م.
- شرح ديوان عنتر بن شداد: الخطيب التبريزي، قدم له: مجيد طراد، ط، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- شرح ديوان الفرزدق: إيليا الحاوي، منشورات دار الكتاب اللبناني / مكتبة المدرسة، ط ١، بيروت، ١٩٨٣م.
- شرح ديوان لييد بن ربيعة العامري، تحقيق: د. إحسان عباس، الكويت، ١٩٦٢م.
- شرح ديوان أبي نواس: إيليا الحاوي، ط ١، دار الكتاب اللبناني / مكتبة المدرسة، ١٩٨٣م.
- شعر الحسين بن مطير الأسدي، جمع وتحقيق: د. حسين عطوان، دار الجيل، بيروت.

- شعر أبي حية النميري، جمع وتحقيق: د. يحيى الجبوري، دمشق، ١٩٧٥ م.
- شعر يزيد بن الطثرية، صنعة: حاتم الضامن، بغداد، ١٩٧٣ م.
- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- العقد الفريد: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣ م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق: د. محمد قرقزان، ط ٢، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م.
- الفائق في غريب الحديث والأثر: الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي / محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار المعرفة، لبنان.
- كتاب التشبيهات: ابن أبي عون، تصحيح: محمد عبد المعين خان، مطبعة جامعة كمبردج، د.ت.
- كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي / محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار الفكر العربي.
- كتاب الكامل في اللغة والأدب: محمد بن يزيد المبرد أبو العباس: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٣، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧ م.
- كتاب المعمرين: أبو حاتم السجستاني، تصحيح: محمد أمين الخانجي، ط ١، مصر، ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥ م.
- المحب والمحبوب والمشمووم والمشروب: السري بن أحمد الرفاء، تحقيق: ماجد حسن الذهبي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦ م.

- معاهد التنقيص: عبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م.
- معجم الأدباء: ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء: أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني، وقف على طبعه: محب الدين الخطيب، ط ٢، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٥هـ.
- نقد الشعر: أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق: د. عبد المنعم خفاجي، ط ١، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م.
- وفيات الأعيان: ابن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

* * *